النص الأدبي العربي الحديث
ليسانس السنة الثانية
دراسات لغوية

المحاضرة الأولى :

الإحياء الشعري في المشرق (1)

1- ضبط المصطلح :

1 الحديث : بمعنى الجديد ، كلمة مرنة للغاية ، وما يكون حديثا اليوم يصبح قديما في المستقبل .

2- المعاصر : كذلك كلمة المعاصر ، فما هو في عداد المعاصرة اليوم لا يكون معاصرا في المستقبل ، حين يمضي ركب التاريخ ، ويحل غيره محله ، ويفقد بالتالي معنى المعاصرة ، يقول الشاعر **ابن شرف القيرواني :**

قل لمن لا يرى المعاصر شيئا ويرى للأوائل التقديما

إن ذاك القديـــــم كان جديدا وسيغدو هذا الحديث قديما

لكننا حين نمعن النظر ، نجد أن هناك فرقا شاسعا بين مدلول الأدب الحديث ومدلول الأدب المعاصر ، ولا شك أن الأول أوسع مجالا وأعمق مدى من الثاني ، ونستطيع القول إن كل أدب معاصر يعتبر أدبا حديثا وليس كل أدب حديث داخل في مفهوم المعاصرة إلا بقدر محدود ، ذلك أن الأدب الحديث في اصطلاحنا يبدأ بدخول الفرنسيين إلى مصر عام **1798 م** وينتهي **إلى ما شاء الله** من عصور المستقبل ، أما الأدب المعاصر فنعني به الأدب الذي نعيشه خلال 50 سنة الأخيرة وهو ما يساوي متوسط عمر أديب أو عالم (أو متوسط عمر جيل أو متوسط عمر مدرسة فنية) ، وهو امتداد كاف لإبراز خصائص معينة في حياة جيل معين من الأدباء أو العلماء الذين تعاصروا في حقبة الزمن ، وكانت لهم انطباعاتهم وسماتهم الفنية التي تميزهم عن غيرهم من السابقين لهم واللاحقين بعدهم (*)[1]

- **عصر الضعف** : 1258 م ـــــــ 1798
- **العصر الحديث** : 1798 م ـــــــ ∞
- **المعاصر**: 50 سنة الأخيرة من الحديث (متوسط عمر إنسان)

وقبل الولوج إلى **الإحياء** لابد من إلقاء لمحة خاطفة حول عصر الضعف ، والذي ابتدأ بدخول **التتار والمغول** إلى بغداد ، أي سقوط الدولة العباسية ، وقد اتسم أدب هذه الفترة الطويلة (ينتهي **1798م**) بالضعة والركاكة ، وغلبة الصنعة والتكلف ، والسفسطة موضوعا وشكلا ، واختص بالشعر عامة الناس كالحرفيين ، وزاد اهتمام الحكام الأتراك

- (*) بتصرف عن : حامد حفني داوود : تاريخ الأدب الحديث – تطوره ، معالمه الكبرى ، مدارسه / ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1993.[1]

باللغة التركية على حساب العربية ، من موات الشعر واحتضاره ، وظل الحال على ما هو عليه إلى غاية سنة **1798 م** دخول الحملة الفرنسية إلى مصر .

2 – **عوامل الإحياء والنهضة الأدبية :**

1- حملة نابليون على مصر 1798 م :

هدف نابليون من حملته على مصر إلى تأسيس إمبراطورية عظيمة تواجه قوة الإمبراطورية البريطانية التي لا تغيب عنها الشمس ، وقد نافست بريطانيا فرنسا شمالا ، ما اضطر فرنسا إلى التوجه جنوبا ، لكن حملة نابليون لم تدم طويلا ، إذ خشي نابليون من الثورات التي حدثت أثناءها في فرنسا واستهدفت عرشه ، فغادر مصر عاهدا بها إلى قواده ، لتنسحب الحملة عام **1801 م** ، غير أن هذه الحملة – رغم رفض واعتراض نقاد كثيرين على اعتبارها منطلق الحديث عند العرب – تعد فاتحة التحديث واليقظة العربية بعد قرون عصر الضعف ، وذلك بسبب نتائجها وآثارها على مصر وعلى الوطن العربي فيما بعد .

نتائج حملة نابليون على مصر :

.* أصدرت الحملة أول صحيفة كتبت باللغة العربية إسمها **التنبيه** ، وهي أول صحيفة عربية صدرت في مصر على الإطلاق .

* المطبعة وحروف الطباعة والكتاب المطبوع .

* المنشورات والصحف المطبوعة، والمكتبات الحديثة .

* التجارب العلمية في الطبيعة والكيمياء وإنشاء المخابر والمعامل .

* المدارس الحديثة التي أنشأها نابليون لأبناء الفرنسيين في مصر .

* مسرح نابليون ، والذي كانت تمثل على خشبته المسرحيات الفرنسية كل عشر ليال ، وقد أحضر نابليون الفرق المسرحية معه في سفن الحملة باعتبار المسرح لازمة حضارية عند الفرنسي .

* المكتبة العامة التي نقلت إليها بعض كتب المساجد والأضرحة فيها كذلك بعض المراجع الفرنسية .

* المجمع العلمي المصري الذي أسس على نمط المجمع العلمي الفرنسي ويؤكد المؤرخ الإنجليزي **الجود** على أثر حملة نابليون على مصر ، يقول : **" لقد ترك الإحتلال الفرنسي أثرا لا يمحى ، فقد ظل المصريون يعجبون بنابليون بعد خروجه من ديارهم ، وظلت طرق الإدارة الفرنسية مهيمنة على حكومة مصر ، وظلت عادات التفكير الفرنسية تسيطر على الطبقة المستنيرة بمصر " .**

2- حكم محمد علي باشا 1805 م :

وفد محمد علي إلى مصر بعد ثلاثة أعوام من الحملة الفرنسية ، ضابطا في الجيش التركي ، ونودي به واليا على مصر عام **1805 م** ، ولعل أبرز ما قام به محمد علي :

* نشر التعليم لفائدة أبناء الأتراك والألبان .

* أنشأ المدارس العسكرية واهتم بتطوير الأساليب العسكرية .

* أنشأ المدارس الصناعية ، ومدارس الطب والفنون والصيدلة .

* أحضر أساتذة من دول أجنبية وأحضر لهؤلاء مترجمين .

* إهتم بالصحف ومن أشهرها في عهده ، الوقائع المصرية 1828 م ، الجريدة العسكرية 1833م ، الجريدة الزراعية التجارية 1847 م .

* أهم أعماله على الإطلاق في خدمة الثقافة : أنه أوفد البعثات العلمية إلى الخارج .

ما يلاحظ على عصر محمد علي غلبة **السمة العلمية** لا الأدبية .

3 - عهد إسماعيل باشا 1863 م :

إسماعيل باشا هو حفيد محمد علي ، تولى حكم مصر عام **1863م** ، حاول إتمام عمل جده ، وكان عصره من أرقى وأزهى العصور الحديثة في مصر ، من أهم أعماله :

* بنى الجسور والترع والقناطر والمصانع .

* أنشا مدرسة الإدارة وهي نواة مدرسة الحقوق .

* أنشأ مدرسة المعلمين التي تتلمذ فيها عباقرة مصر و العالم العربي .

* أنشأ مدرسة الفنون والصناعات .

* أنشأ دار الكتب المصرية 1870م .

* أنشأ دار العلوم 1871 م .

* فتحت في عهده أول مدرسة للبنات .

* أنشأ دار الآثار المصرية .

* قام ببناء ملهى ودار الأوبيرا الشهيرة .

* إهتم بالبعثات العلمية التي أهملها عباس الأول وسعيد باشا .

* نهض بالصحافة ، من الصحف الشهيرة في عهده ، **اليعسوب** (أقدم مجلة عربية) ، واد النيل 1866م ، نزهة الأفكار 1869 م ، 1870 م روضة المدارس ....

* إلى جانب هذه الإنجازات تميز عهد إسماعيل باشا بميزتين إضافيتين ، زادتا من ثراء عصر وازدهاره .

أولا : هجرة أدباء الشام (لبنان وسوريا) ، إثر مذبحة **1860م** (الأتراك ضد المسيحيين) ، واتجهوا إلى مصر وكان للهم مساهمات جبارة في ازدهار **التجارة** وكذلك **الصحافة (** الكوكب الشرقي 3**187** / الأهرام 1876 / الوطن 1877 ...) ، كما كانت لهم مساهمة جادة وجليلة في إثراء فن **المسرح** ، ومن أهم أدباء تلك المرحلة **أديب إسحاق** الذي ترجم روايات لافونتين ، ومسرحيات فولتير ، و**سليمان البستاني** الذي ترجم الإلياذة شعرا و **جورجي زيدان** وغيرهم .

ثانيا : عودة البعثات العلمية التي أرسلها جده محمد علي ، وقد كان لها أثر بالغ في تطور الثقافة والفنون ، ذلك أنها عادت مسلحة بكثير ممن المناهج والنظريات النقدية والعلمية الجديدة ، وطرق التدريس الحديثة ، مما أسهم بشكل فاعل في خلخلة الجمود الثقافي .

4 - الإستشراق والمستشرقون :

هم جماعة من المفكرين من علماء الغرب تخصصوا في دراسة لغة الشرق وعلومه وتاريخه وتراثه ، وقد مر الإستشراق بثلاثة مراحل :

أ / مرحلة دراسة اللغة العربية وأدبها وفكرها من ق 10 م إلى ما قبل عصر النهضة .

ب / مرحلة ظهرت فيها الأغراض الحقيقية للمستشرقين (أهداف استعمارية وتبشيرية) .

ج/ مرحلة تيقظ فيها الشرق لأهداف المستشرقين وحصرهم علماءه في خدمة البحث العلمي والأدبي فقط .

من أشهر المستشرقين : **بروكلمان / ليثمان / مرخيلوت / جب / ديساس/ ماسينيون/ أماري/ خالدوف/ جيرومان ...** وغيرهم .

من أهم أعمالهم :

* ألفوا دائرة المعارف الإسلامية **1908م .**

* أسسوا الجامعات العربية ودرسوا فيها ووجهوا الدارسين إلى الإتجاهات في التدريس والدراسة .

* تتلمذ على أيديهم كثير من أدباء ومفكري العرب .

* نبهوا الشرق إلى عظمة تراثه ، ونقلوا ما كان في مكتباتهم الغربية ليكون تحت تصرف أهله .

* أنقذوا التراث العربي من الضياع والإهمال .

5- الثورة العرابية 1881 م :

وهي ثورة سلمية قام بها الجندي المصري **أحمد عرابي** ، كانت تهدف إلى تحرير العنصر المصري العربي من شوائب العناصر التركية والجركسية والألبانية المهيمنة على مقدرات الدولة في مصر ، وكانت انطلاقتها من الجيش ، بميدان عابدين ، كان هدفها تغيير سياسي ثم اجتماعي ففكري وأدبي .

وقد وقف مجموعة من المصلحين إلى جانب الثورة العرابية أمثال : **جمال الدين الأفغاني و محمد عبده ومصطفى كامل وقاسم أمين وسعد زغلول ...** ومن الكتاب **أحمد فارس الشدياق والمرصفي وابرهيم المويلحي و جورجي زيدان وإبراهيم اليازجي ....**

وفي خضم هذه المعمعة ظهر نجم الإحياء **محمود سامي البارودي .**

3/ رواد الإحياء الشعري العربي :

<u>أولا</u> : محمود سامي البارودي (1839 - 1904) :

هو محمود سامي البارودي ، شاعر مصري من أسرة تنتمي إلى المماليك الأشراف ، ولد بدنقلة بالسودان ، كان والده مديرا ، تعلم بالمدرسة الحربية بالقاهرة ، توفي والده وتولت والدته تعليمه بإحضار أساتذة خصوصيين له في المنزل ، وهنا تلقى مبادئ العلوم جميعا ، الفلك والرياضيات والحساب والفيزياء والطبيعة ، وكان له ولع خاص بالأدب ، فحفظ أمهات الكتب والدواوين العربية ، وكتب أول قصيدة له في عمر 13 سنة ، سافر إلى الأستانة حيث أتقن اللغتين التركية والفارسية ، ثم عاد إلى مصر وتقلب في المناصب الرفيعة في الجيش والإدارة ، إشترك بالحرب التركية الروسية 1877 م ، كان أحد المشاركين في الثورة العرابية ، حوكم بعد دخول الإنجليز إلى مصر ، ونفي إلى جزيرة " سيلان " ، حيث

أقام هناك 17 سنة ، عفي عنه عام 1900 م ، وعاد إلى مصر مريضا وشبه أعمى ، توفي عام 1904 م ، وتولت أرملته جمع ديوانه وطبعه في أربعة أجزاء سمته : مختارات البارودي .

يقول البارودي في مقدمة ديوانه ، مبينا نهجه :

تكلمت كالماضين قبلي بما جرت به عادة الإنسان أن يتكلما

فلا يعتمدني بالإساءة غافل فلابد لابن الأيك أن يترنما

حاكى البارودي في قصائده أساليب فحول الشعراء **أبو فراس الحمداني وأبو تمام والمتنبي** وغيرهم ، وكانت وسيلته في ذلك فن **المعارضة** (وهي محاكاة شاعر لنص شاعر سابق) ، عارض البارودي فحول الشعراء العرب ، وأعاد بذلك للشعر العربي رونقه وفحولته وجزالته ، وهو إذ يحاكيهم فإنه يجري في مضمار البيان جريا خلاقا ، لغة وتراكيبا وأسلوبا وبيانا وصورا .

- نماذج من معارضات البارودي :

*** أمرؤ القيس :**

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فقلت لا تبك عينك إنمـــــــــــا نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

*** البارودي :**

بكى صاحبي لما رأى الحرب أقبلت بأبنائها واليوم أغبر كالـــــــح

فقلت : تعلم فإنما هي خطـــــــــة يطول بها مجد وتخشى فضائح

*** المتنبي :**

يقول لي الطبيب أكلت شيئا ودواؤك في شرابك والطعام

وما في طبه أني جواد أضر بجسمه طول الجمام

*** البارودي :**

فدع التكهن يا طبيب فإنما دائي الهوى ولكل نفس داء

ألم الصبابة لذة تحيا بها نفسي ، ودائي لو علمت دواء

*** المتنبي :**

أيود من الأيام مالا توده وأشكو إليها بيننا وهي جنده

*** البارودي :**

رضيت من الدنيا بما لا أوده وأي امرئ يقوى على الدهر زنده ؟!

كان للبارودي هوس وشغف شديد بشعر **أبي فراس الحمداني** ، فكان أكثر من عارض من الشعراء ربما بسبب تشابه ظروف النفي عندهما .

*** أبو فراس الحمداني :**

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر أما للهوى نهي عليك ولا أمر

بلى أنا مشتاق وعندي لوعة ولكن مثلي لا يذاع له ســـــر

إذا الليل أضواني بسطت يد الهوى وأذللت دمعا من خلائقه الكبر

*** البارودي :**

طربت وعادتني المخيلة والسكر وأصبحت لا يلوي بشيمتي الزجر

فكيف يعيب الناس أمري وليس لي ولا لامرئ في الحب أمر ولا نهي

الوقوف على الطلل :

من عيوب معارضات البارودي انشغاله بالطلل على عادة القدامى ، وكان هذا الأمر مدعاة سخرية النقاد منه ، يقول في إحدى قصائده :

ألا حبي من أسماء رسم المنازل وإن هي لم ترجع بيانا لسائل

خلاء تعفتها الروامس والتقت عليها أهاضيب الغيوم الحوافل

فلأيا عرفت الدار بعد توســم أراني بها ما كان بالأمس شاغلي

تمر بها رعيـــان كل قبيـلة بعيدا ولم يسمع لنا بطوائل

أية أطلال وأي رعيان وأية قبيلة مر بها البارودي في العصر الحديث ؟

ورغم أن البارودي أعاد بعث الشعر العربي ، بلغة سليمة وجزلة وفصيحة ، وأعاد للمضمون رونقه وقيمته ، إلا أنه اتهم بالسرقة إذ رأى بعض النقاد أن شعره ماهو إلا صورة

مسروقة من زمن غير زمنه ، فلا اللغة لغته ولا الأفكار أفكاره ، وقد رد محبو الشاعر أن محفوظ البارودي كثر من الشعر القديم فاصطبغت به لغته ولم يقصد السرقة .